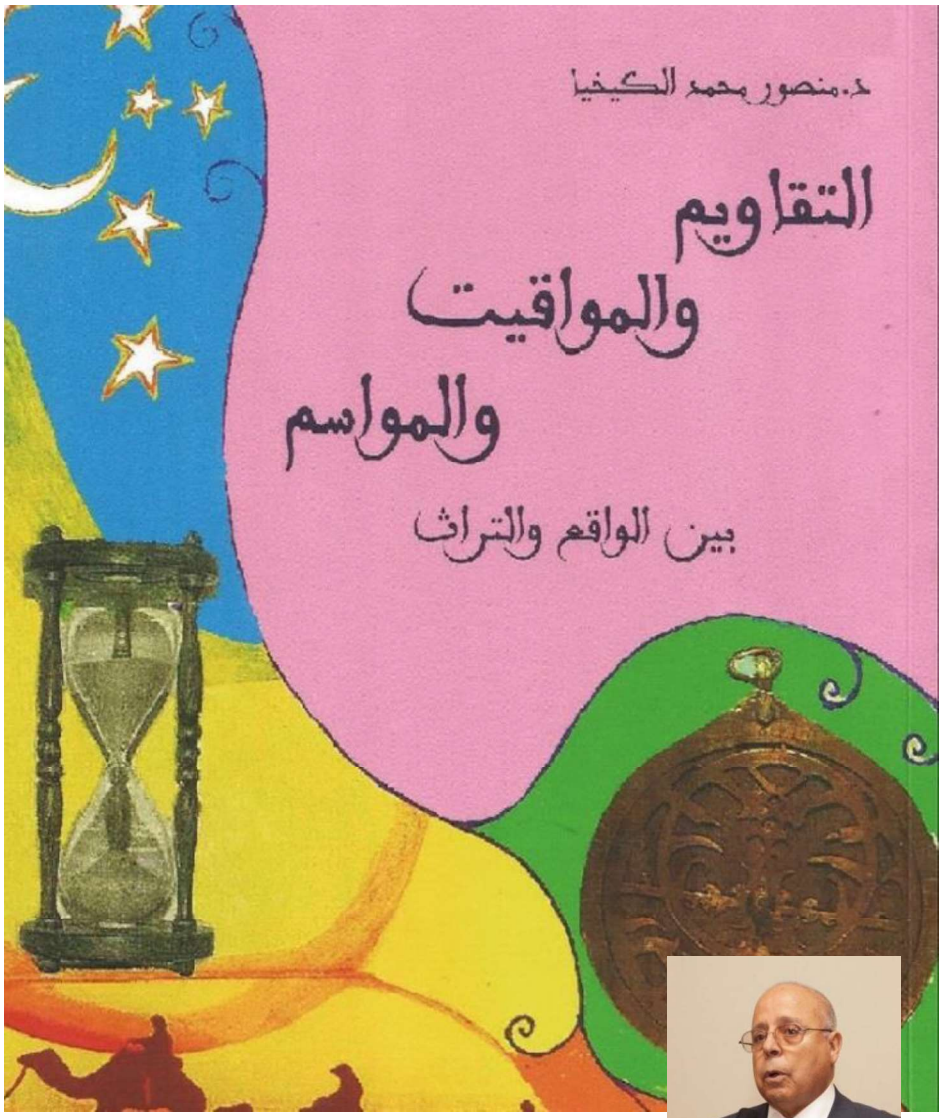

د.منصور محمد الكيخيا
التقاويم
والمواقيت
والمواسم
بين الواقع والتراث

لعله من الواجب قبل الشروع في تقديم مراجعة الكتاب أن نشير باختصار إلى جوانب من سيرة ومسيرة مؤلف الكتاب الدكتور منصور الكيخيا، رغم قناعتنا التامة بأنه شخصية وطنية معروفة غنية عن التعريف. فهو من أوائل الأكاديميين الليبيين الذين شاركوا في تأسيس التعليم الجامعي في ليبيا الحديثة، فبعد حصوله على درجة الدكتوراه في جغرافية السكان من جامعة إيكس آن بروفانس Eix-En-Provence في فرنسا عام 1968 وعودته إلى الوطن، تقلد العديد من الوظائف الأكاديمية والإدارية التي كان من أبرزها منصب عميد كلية الآداب في الجامعة الليبية (1969-1973)، وعضو مجلس التعليم الأعلى (1970-1973)، كما قام بتدريس جملة من المقررات في أقسام جغرافية وغير جغرافية تتوزع في مناطق مختلفة من البلاد. ومارس الكتابة والتأليف منذ مراحل مبكرة من حياته، حيث نشر العديد من المقالات في الصحف والمجلات المحلية، في مجالات ذات علاقة بالتربية والتعليم وبث الروح الوطنية وبناء الأجيال، كما أنتج في مجال تخصصه الأكاديمي العديد من المؤلفات والبحوث المنشورة وغير المنشورة تنوعت بين الكتب والمقالات والبحوث الرصينة، نذكر منها: كتاب "جغرافية السكان: أسسها ووسائلها" منشورات جامعة بنغازي، 2003. وكتاب "ليبيا: المكان والزمان والإنسان" منشورات مجموعة الوسط للإعلام، 2020، والكتاب الذي نحن بصدده "التقاويم والمواقيت والمواسم بين الواقع والتراث" الذي نشره على نفقته الخاصة، 2020.

إلى جانب ما قدمه الدكتور منصور الكيخيا من جهود مخلصة وأعمال مجيدة في المجال الأكاديمي، يبرز جانب آخر أكثر إشراقًا في سيرته لا يمكن إغفاله، وهو مجال العمل التطوعي ومؤسسات المجتمع المدني، حيث أسهم في تأسيس جمعية

الكفيف وجمعية الهلال الأحمر والحركة الكشفية في ليبيا، ولعل الأخيرة هي أبرز الأعمال التي وهب لها جلّ وقته وجهده على المستويين الوطني والعربي، فخلال مسيرته الكشفية تقلّد العديد من المناصب والمسؤوليات منها نائب القائد العام لكشاف ليبيا (1957–1962) ورئيس هيئة القيادة العامة لكشاف ليبيا (1968–1974)، ورئيس اللجنة الكشفية العربية (1975–1980)، كما شارك في نشاطات وفعاليات عربية وعالمية انعقدت في أكثر من 20 بلدًا، ونال العديد من الأوسمة التقديرية الكشفية الرفيعة.

ينطلق كتاب "التقاويم والمواقيت والمواسم بين الواقع والتراث" من أن الاهتمام بدراسة وحفظ التراث الثقافي المادي وغير المادي للشعوب والمجتمعات ضرورة علمية ووطنية ملحّة، تحظى بأهمية بالغة لدى كافة المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء. لذلك فإن إعادة قراءة جوانبه ورصدها يعد أيضا ضرورة حضارية ليس من أجل بعث ومضات الماضي وتمجيده، بل للتعرّف على أنماط العادات والتقاليد والأفكار السائدة في فترات قديمة، وإسقاطاتها التاريخية على الحاضر مما يمكّن من استثمار هذه المعرفة في استشراف آفاق المستقبل. وبصفة عامة يمكن تعريف التراث بأنه الثقافة المجتمعية التي تنتقل من جيل إلى آخر، بصورة شفهية أو غير شفهية، ويفيد العديد من المختصين والمهتمين بهذا المجال أن كل إقليم من أقاليم العالم له تراث ثقافي فريد يميزه عن غيره، وليبيا بوصفها إقليم جغرافي محدّد ليس استثناءً، فهي تزخر بإرثها الثقافي المادي وغير المادي المتنوع. وفي الصفحة الثانية من الكتاب يورد المؤلف مقولة بليغة لمؤسس الحركة الكشفية في ليبيا المغفور له خليفة الزائدي الذي كان يردد ويستذكر "أمة لا تراث لها... لا شخصية ولا ملامح لها".

يهتم الكتاب الحالي بجانب معين من الجوانب المتعددة والمتنوعة للتراث الثقافي والحضاري وهو موضوع التقاويم والمواقيت والمواسم في ليبيا. وينبغي أن نشير إلى أن السياق العام للكتاب لا يخضع إلى تنسيق منهجي موحّد، وإنما نجده ينقسم إلى

موضوعات تندرج ضمن عناوين رئيسية عريضة تقع تحتها عناوين فرعية وفقرات تقصر وتطول حسب مقتضى الحال، وهو بذلك يخالف التصنيف المعتاد في الكتب المنهجية والبحوث الأكاديمية الذي ينتظم وفق نظام الأبواب والفصول والفقرات المتوازنة، وفي اعتقادي أن سبب ذلك يرجع إلى أن الكتاب موجه في الأساس إلى القارئ العام، وتنتظم الموضوعات التي يعالجها الكتاب على الشكل الآتي:

المقدمة: تتضمن أهمية موضوع الكتاب وأسباب تأليفه، والدعوة إلى ضرورة أن تولي مؤسسات الدولة العامة والخاصة المزيد من الاهتمام بقضية التراث والحفاظ عليه، أسوة بما تقوم به أغلب الدول والمجتمعات في العالم (الصفحات 12.2).

قياس الزمن: الليل والنهار– الأيام والساعات، مراحل وأوجه القمر– الأسابيع، توالي ظهور الشمس والقمر– الأشهر الشمسية والأشهر القمرية وتسمياتها (الصفحات 102.13)،

تنوع أنماط حساب الزمن– التقاويم: التقويم الفرعوني، التقويم البابلي، التقاويم الأسيوية القديمة، التقاويم الأمريكية القديمة، التقاويم الأوربية، التقويم القمري الهجري، التقاويم التراثية في ليبيا (الصفحات 156.103).

حديث النجوم: علوم الفلك والتقاويم . تاريخ حافل في الحضارة العربية، الأنواء ونجومها، الأنواء في التراث الليبي، الأنواء الفلاحية، الأنواء البحرية (الصفحات 204.157).

مواسم ومواقيت المناسبات الدينية في ليبيا: عيد رأس السنة الهجرية، يوم عاشوراء، المولد النبوي الشريف، ليلة 27 رجب، ليلة نصف شعبان، شهر رمضان، عيد الفطر المبارك، عيد الأضحى المبارك (الصفحات 205–221).

الخاتمة: تضمنت تلخيصًا لموضوع الكتاب، والتأكيد على أن مجال التقاويم والمواقيت والمواسم يعد تراثًا عريقًا وقاسمًا مشتركًا لدى كافة الشعوب والمجتمعات بما

فيها الشعب الليبي، لذا يجب رصد جوانبه باعتباره من المكتسبات الوطنية التي ينبغي الحفاظ عليها وتعريف أجيالنا الصاعدة بهذا التراث العريق (الصفحات 222–227).

كل الموضوعات المذكورة أعلاه تناولها الدكتور منصور الكيخيا بتمكّن معتمدًا على خبراته وتجاربه الحياتية ومعايشته التراثية وقراءاته المستنيرة، وما اختزنته الذاكرة من أحداث ومشاهدات، فضلًا عن ما جمعه من بيانات ومعلومات مكتبية وميدانية، خلال دراساته البحثية سواءً في الدراسات الحقلية مع قسم الجغرافيا أو في الزيارات الاستطلاعية ضمن المهام الكشفية في ربوع بلادنا. ولكن ما الحافز الذي دفعه إلى تأليف الكتاب الذي استغرق منه وقتًا وجهدًا كبيرين وقام بنشره على نفقته الخاصة؟ في هذا الخصوص أشار الدكتور منصور في مقدمته للكتاب: "إن التصدي لمعالجة مشكلة التراث في ليبيا يمثل اليوم أمرًا ملحًّا وواجبًا وطنيًا، لأن الأجيال الحديثة من الليبيين أصبحت تجهل الكثير من مظاهر تراثها، وبدأت آثار ذلك الجهل تظهر في تشتت لحمتنا الوطنية وفي تدني مستوى فهمنا لتراثنا، وهذا يهدد كياننا ووجودنا ويدعونا إلى قرع ناقوس الخطر والطلب من الدولة ضرورة تدارك هذا الموقف العصيب بالعمل الجاد للمحافظة على تراثنا في كل جوانبه ومظاهره، وتطويعه لروح العصر ومقتضيات التطور الحديث".

وفي الختام لا يسعني إلا أن أثني على الجهود المخلصة التي يبذلها أستاذنا الجليل الدكتور منصور الكيخيا في تناول مثل هذه الموضوعات المهمة، الهادفة إلى صون تراثنا الأصيل من الضياع والاندثار بما يعزّز الهوية واللحمة الوطنية، التي تنير لنا الطريق لمستقبل واعد لبلادنا وللأجيال القادمة، ونسأل الله أن يمدّ في عمره ويمتعه بوافر الصحة والعافية نظير ما قدمه لبلادنا الحبيبة وأهلها الطيبين. ونقتبس في هذا المقام قول أحد المستنيرين "من الطبيعي أن الكتب القيمة التي تترك آثارها في المجتمع وفي الأجيال، تبقى جديدة ومهمة ولا تستطيع الأيام أن تبليها وتزيل جدتها وأهميتها"، وفي اعتقادي أن هذا الكتاب الذي يستحق القراءة والتأمل يندرج ضمن هذا السياق.